خوان ميرو

توليف تقني لإبداع طباعي

علي محمود صالح حموري* الأستاذ الدكتور عبد الكريم فرج**

الملخص

هدفت هذه الدراسة البحثية القصيرة إلى تعرّف حياة الفنان الإسباني خوان ميرو كواحد من الأسماء الشهيرة في الفن الحديث، وخاصة في مجال الحفر والأعمال، وكيفية بداياته التي ولّدت الإلهامات والأفكار الإبداعية لديه والتي قدم فيها العديد من الأعمال المطبوعة، كما تأتي أهمية البحث من خلال معرفة الأسلوب والتقنية وعملية المزاوجة بين التقنيات المتعددة على السطح الواحد التي قدم فيها ميرو غالبية موضوعاته في صناعة العمل الجرافيكي الإبداعي المطبوع. وقد وظف الفنان إمكانياته المتعددة في اختزال المشهد التصويري التفصيلي وبأسلوب إبداعي فريد إلى مجموعة مختزلة من الخطوط والألوان والأشكال السريالية قدَّم بها مفهوماً مميزاً في عالم الطباعة من حيث الفكرة والموضوع والبنائية المختزلة في التكوينات الجرافيكية للعناصر التي استطاع فيها وبتألق كبير الدمج بين أسلوب التبسيط من الواقع التفصيلي إلى الواقع الجرافيكي البعيد كل البعد عن التجسيد للوصول إلى فن مطبوع بأسلوب بصري أخاذ سخر فيه مزيجاً من التقنيات التي كانت لينة بين يديه ومطاوعة حتى تمكن من تقديم هذا العدد الكبير من أعماله الطباعية.

* أعد هذا البحث في سياق رسالة الدكتوراه للطالب علي محمود صالح حموري بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم فرج

** كلية الفنون الجميلة جامعة دمشق

ولد خوان Joan Mir في العام 1893 في مقاطعة كاتولونيا الإسبانية قرب بارشلونا، وقد بدأ الرسم في سن مبكرة قبل أن يلتحق في مدرسة لتعليم عالم الاقتصاد والتجارة وفي الوقت نفسه التحق بإحدى مدارس تعليم الفنون الجميلة في باريس، ولاقى ميرو تشجيعاً من أستاذين شجعه أحدهما لإعادة إحياء روح الفن الكاتالوني الأصيل مع الأخذ بالحسبان الاكتشافات الحديثة والتقانات المتطورة، وكان ذلك في بدايات القرن العشرين حيث بدايات ظهور الفن الحديث في أوروبا وقد أسهم في ذلك المناخ الإبداعي الذي كان يتسم بالحيوية والحركة والنشاط والتقدم آنذاك.

عندما كان شاباً يافعاً واجه ميرو زخماً متنوعاً من الفن الفولكلوري الكاتالوني الذي ما لبث أن تأثرت به أعماله، حيث كان يرى الأشياء الطبيعية كأنها كائنات حية، كالأشجار وغيرها. كما شاهد ميرو باهتمام كبير عدداً من تكوينات العمارة الداخلية والديكور والفرسكو Fresco وتصاميمهم في كنائس كاتولونيا والتي يعود رسمها للقرنين التاسع والثاني عشر، والتي كان يغلب عليها البساطة والتسطيح والطابع الكارتوني، كما أنها استخدمت الألوان الرئيسة التي يتم تحديدها بخطوط سوداء قوية جداً لمعالجة الفراغ والسطوح المسطحة عوضاً عن المنظور أو الظلال أو الخداع البصري لتحديد العمق، فجميع هذه المقومات والعناصر يمكن رؤيتها في غالبية أعمال ميرو الطباعية الجرافيكية، إلى جانب اختلاف النسب والمقاييس بحيث تظهر الأجسام غير متجانسة إلى بعضها بعضاً حيث يظهر أحدها أكبر بكثير من غيره، وهذا يعيدنا إلى الأساليب والطرائق التي كان يستخدمها الأطفال في رسوماتهم حيث كان يرسم الجسم الأكثر أهمية بشكل أكبر حجماً.

في العام 1941 عرض ميرو أعماله في متحف الفن الحديث في نيويورك، وقد بدأ في ذلك العام أعمال السيراميك مع التركيز الملحوظ على أعمال الطباعة، وحصل على جائزة رفيعة المستوى تقديراً لأعماله الجرافيكية في بينالي فينيسيا في العام 1954 وضُمِّنَ العديد من أعماله في المعرض الوثائقي في العام التالي الذي عرف بالمعرض الوثائقي الفني في كاسيل Kassel Documentary Art Show، وفي العام 1958 مُنح ميرو جائزة غوغنهايم العالمية Guggenheim International Award للأعمال الجدارية الخاصة بمبنى اليونسكو UNISCO في باريس.

وفي ستينيات القرن الماضي بدأ ميرو وبشكل مكثف أعمال النحت وقدم أعمالاً مهمة للقصور الكبيرة في باريس في العام 1974. وفي الحفر والطباعة استخدم ميرو طرقاً عديدة بشكل منفرد أو بتقانات متعددة Mixed Media مثل (الكربوراندوم) وصبغة الماء (والليثوغراف) والماء القوي وغيرها كإضافة بعض اللمسات الإبداعية اليدوية على الأعمال المطبوعة مثل عمليات الستانسل وضربات الفرشاة المباشرة، وظهرت أعمال ميرو المطبوعة والأصيلة في المتاحف والمعارض الفنية في الولايات المتحدة وأوروبا، وعلقت لوحة جدارية ضخمة من نسيج الصوف وخيوط القنب حيث زين العمل جدار الردهة الرئيسة في مركز التجارة العالمي في نيويورك، وقد دُمِّرَ العمل في أثناء سقوط البرجين في أحداث أيلول 2001.

نوّع ميرو في استخدام التقانات المتعددة في العمل الواحد لتحقيق أكبر مساحة إبداعية عالية التقنية ضمن إطار اللوحة المطبوعة، ما خلق تمازجاً يتصف

(فضلاً عن التقنية العالية) بتجريدية تعبيرية تارة وسريالية بطابع جرافيكي معاصر تارة أخرى، ولعل تقنية صبغة الماء قد استأثرت بالحضور إلى جانب العديد من التقانات الرئيسة التي وظفها ميرو في أعماله، ولم يتوانَ عن إضافة ضربات لونية متنوعة على العمل المطبوع لتعزيز الأشكال والمساحات الجرافيكية اللونية التي تنعش العمل وتملؤه سحراً وحيوية وطاقات تعبيرية تنبعث من بين جزئياته ليظهر مكتملاً بحلته التي قدمها ميرو لعالم الفن بأجناسه وثقافاته المختلفة.

سيتناول هذا البحث جانباً من إبداعات الفنان خوان ميرو العالمية تتمثل في عدد من مطبوعاته التي نّوع فيها من حيث المضمون وتعدد التقانات المستخدمة، إذْ سيوصَفُ كل عمل كوثيقة وقطعة فنية تاريخية من حيث التقنية والمضمون والبعد الإبداعي، وذلك من خلال قراءة وصفية وتحليلية يقوم بها الباحث، وقد اختيرت خمسة أعمال اشتملت على تنوع باستخدام التقنيات وتنوع في الشكل والمضمون والرسالة:

العمل الأول:

اسم العمـــل: راقصة الكربيوليه: **Creole Dancer, 1978**

اسم الفنـــان: خوان ميرو Joan Mir -1893 1983

التقنية: صبغة الماء والماء القوي مع إضافة بقع لونية يدوياً، Original hand color-wash Painted Etching and Aquatint

قياس العمل: 114.5 cm x 73.5 cm

التوقيـــــع: خوان ميرو، بقلم الرصاص على أسفل الهامش اليميني

بمجموعات لونية نابضة بالحياة والنشاط، وخطوط غريبة الأطوار وغير مألوفة، أبدع خوان ميرو هذا التكوين والشكل المدهش واللافت للنظر، والذي يبدو مليئاً بالحركة (كما يستنتج من العنوان)، وعلى الرغم من ظهور شكل راقصة الكربيوليه بشكل تجريدي، إلا أنها تظهر بشكل جلي واضح المعالم وغير مشكوك به، ويرى ذلك من خلال العينين اللتين تحدقان بالمشاهد الذي يقف أمام العمل ويصعب عليه تحديد أطراف الراقصة السفلية والعلوية، حيث آثر ميرو الاكتفاء (كما يظهر في الشكل) بوضع علامة بشرية تمثلت بطبعة اليد في الجانب اليساري من الصورة لترشد وتقود المشاهد إلى مكان أطراف الراقصة.

وللتدليل على الحركة التي ضمّنها اسم المطبوعة، ظهرت في العمل ضربات سوداء

اللون، حادة ومفاجئة تندفع خارجاً باتجاه حافة التكوين خاصة في الفضاء المحيط بالوجه، وهذه الضربات العفوية والسريعة أضافت إلى العمل نوعاً من الإحساس العميق بالحركة والطاقة، بينما أظهرت التباينات الساطعة من الأحمر الوردي القرنفلي مع الأسود القاتم الشكل الملتوي وحركته البهلوانية وكأنه يقفز من مكانه باتجاه المشاهد، وهذا التعبير يُجَيَّر لصالح المفهوم التجريدي التعبيري الذي يظهر في هذا العمل المنسجم شكلاً ومضموناً مع وظيفة العمل وعنوانه فضلاً عن أنه لم يغفل الجانب الجمالي الذي حققه بالمجموعات اللونية البارزة الجذابة، وأن إضافة اللطخات اللونية التي استخدمها ميرو كلمسات سحرية تعلو رأس الراقصة لم تكن لتنجح لولا استخدام الفنان لأسلوب التلوين المعروف بـــ Color Wash التي تمثلت بالبقع اللونية متفاوتة الشفافية، ما خلق انطباعاً يشعر المتلقي بتفاوت العمق والبعد اللوني في العمل وكأنها الطبقات المتراكبة.

قام ميرو بتنفيذ هذا العمل الأصلي في العام 1978 بتقنيات صبغة الماء Aquatint والماء القوي Etching واللمسات اللونية Color wash، وطبع العمل على ورق الآرش في باريس، وقد وقع ميرو عمله بالرصاص على أسفل الهامش اليميني.

العمل الثاني:

اسم العمل: امرأة وقمر ونجم: **Woman, Moon, Star, 1949**

اسم الفنـــان: خوان ميرو Joan Mir 1893-1983

التقنية: طباعة وسائط متعددة: ليثوغراف وستانسل ملون يدوي Mixed Media: Lithograph and Pochoir hand coloring

قياس العمل: 49.7 cm x 62.7 cm

التوقيع: خوان ميرو، بقلم الرصاص على أسفل الهامش اليميني

(امرأة وقمر ونجم 1949)عمل طباعي يحمل بين ثناياه مفردات الاسم الثلاث، فقد أبدع ميرو هذا العمل الفريد وكما يظهر في الشكل مستخدماً الرموز والخطوط الموسيقية والشخصيات الراقصة، ويظهر هذا العمل قدرة الفنان الفائقة في استخدام الألوان والخطوط الحادة والمرنة، وتنبثق الأشكال الغريبة واللافتة للنظر من خلال الخطوط العشوائية والأشكال المفعمة بالألوان، ويعزز استخدام الألوان الغنية وخاصة الأخضر شكل العين التي تشير إلى شكل المرأة التي لمح إليها ميرو في عنوان العمل، وتبرز قدرة الفنان العالية في إظهار التباينات الواضحة لإظهار الأشكال الرئيسة من الخطوط والمساحات اللونية المصمتة في العمل من خلال استخدامه للخلفية الذهبية والترابية اللون، وهذا ينم عن خبرة فائقة يمكن للمتلقي تَلَمُسها والإحساس بها.

وفي العمل، لا تظهر الروح والحركة والأحاسيس والنشاط بمحض المصادفة، بل تنبثق

وتنبعث من الأشكال البسيطة التي يضعها ميرو في أعماله من خلال قدرته المميزة على التعامل مع الخط واللون والحركات الإيقاعية فيما بينها. وقد ظهرت هذه الأشكال وكأنها تتحرك، وتتصف بحيوية عالية مستمدة هذه إلهاماتها ونشاطها الكبير من المادة الممتلئة بالعاطفة والأحاسيس الإلهامية التي تشكل خلفية العمل الصحراوية اللون وكأنها رمال ذهبية متألقة، نفذ ميرو هذا العمل بتقنيات متعددة تمثلت بالطباعة (الليثوغرافية) مضافاً إليها ضربات لونية جلية واضحة نفذت يدوياً بتقنية تفريغ الأشكال الستانسل Stencil وخاصة المساحات البارزة باللون الأحمر الداكن، الأمر الذي جعلها تعطي طبقة إضافية من العمق والجمال للعمل، فضلاً عن قدرة هذه التقنية على مساعدة الفنان في الحصول على الخطوط المحيطية الحادة والنظيفة والخالية من الأثلام، وقد وقعها ميرو بقلم الرصاص على الهامش اليميني السفلي.

العمل الثالث:

اسم العمل: صنوبر فورمنتور: **The Pine of Formentor, 1976**

اسم الفنن: خوان ميرو Joan Mir 1893-1983

التقنية: طباعة وسائط متعددة: طباعة ملونة بتقنية الماء القوي وصبغة الماء على الورق النسيجي
Mixed Media: Color etching, aquatint on woven paper

قياس العمل: 77.5 cm x 74.9 cm

التوقيع: خوان ميرو، بقلم الرصاص على أسفل الهامش اليميني

يأتي هذا العمل المتقن الذي يتسم بالسحر والجمال كقطعة فنية سريالية، وترجمة جرافيكية، لمضمون كتاب شعري للشاعر "مايكل كوستا ليوبيرا" Miquel Costa i Llobera والمعنون "أشجار الصنوبر في فورمنتور" The Pine of Formentor، (وقد أضاف هذا العمل نفَساً وحيوية إلى النص الشعري في كتاب مايكل كوستا)، أرسى ميرو هذا التكوين بوضع الكتلة الرئيسة فيه المتمثلة بالمستطيل الأحمر العميق في مركز اللوحة المطبوعة، حيث يظهر المستطيل كما يشاهد في العمل وكأنه يطفو أو يسبح وسط الهواء يحيط به من كل جانب فضاء رحب فسيح أضاف إلى العمل شفافية وخفة، تبدو وكأنها نزوات غريبة الأطوار خاصة مع ظهور عدد من الضربات البيضاء والسوداء التعبيرية، وانبثاق بريق النجوم ولمعانها من مسطح الكتلة الحمراء التي زينها ميرو بالهلال الأخضر المشبع اللون وكأنه الغابات الغناء، ولخلق حالة من التوازن

البصري الغني، أضاف ميرو هالة تمثلت بالكتلة العشوائية الشكل ذات اللون الأزرق الفاتح، في حالة تماس مع الركن اليميني الأسفل إلى العمل، ما زاده تألقاً وحركة. وقد نفذ ميرو عمله هذا ضمن سلسلة من خمسين لوحة شكلت رسومات توضيحية للكتاب الشعري في العام 1976، ووقعه ميرو بقلم الرصاص على الهامش اليميني السفلي.

العمل الرابع:

اسم العمل: تقدير اليد: **The Hand Eulogy, 1958**

اسم الفنان: خوان ميرو Joan Mir 1893-1983

التقنية: طباعة ملونة بتقنية الماء القوي وصبغة الماء Color Etching and Aquatint

قياس العمل: 65.41 cm x 51.44 cm

التوقيع: خوان ميرو، بقلم الرصاص على أسفل يمين العمل

في هذا العمل المسمى (تأبين اليد) أو (تقدير اليد)، يقوم التكوين بمحاكاة طبعة اليد Handprint التي وضعها ميرو وسط هذا العمل الطباعي، تظهر هذه المحاكاة الغريبة، بزخم جرافيكي نابض بالحياة والنشاط والحيوية، بهذا العدد الكبير من الألوان. وفي هذا العمل (كما يبدو)، تظهر ضربات سريعة مفاجئة من الأحمر والأخضر والأزرق والأسود تنطلق بشكلها الشعاعي باتجاه خلفية العمل، تتخللها لطخات وبقع لونية دائرية من البرتقالي والأرجواني، الواضح من هذا الكم الشكلي واللوني حول بصمة اليد، إنَّ هذه العناصر توحي وكأنها تقوم بدور التقدير والتبجيل لرمزية اليد التي تتوضع منتصف العمل ويتوسطها ومضة صفراء، ذات بريق أخاذ، ليعطيها قيماً شكلية وبصرية عالية ومضموناً وظيفياً كونها هي مركز السيادة في التكوين.

تُغرق هذه المطبوعة المشاهد والمتلقي في مناخ وبيئة سريالية مفعمة بالحياة والنشاط والحركة، وهذا يعني أن العمل الذي قدمه خوان ميرو هو نقلة نوعية في توظيف تقنية الحفر بالماء القوي لخلق هذه العناصر السريالية وإنجازها، التي تشي برمزيتها الجرافيكية بمدلولات إبداعية حولها الفنان من منظور بصري إلى واقع جرافيكي أصيل تمثل بخصائص تصميمية جرافيكية نابعة من فكر فني يعتمد المبادئ الرئيسة في صناعة التكوينات الفنية الجرافيكية.

العمل الخامس:

اسم العمل: علم التنجيمII: **Astrology II, 1953**

اسم الفنان: خوان ميرو Joan Mir 1893 -1983

التقنية: تقنية الطباعة الحجرية (الليثوغرافية) والتلوين اليدوي بوساطة التفريغ باستخدام الستانسل Lithograph and Pochoir

قياس العمل: 36.8 cm x 26.7 cm

التوقيع: خوان ميرو، بقلم الرصاص على أسفل الهامش اليميني

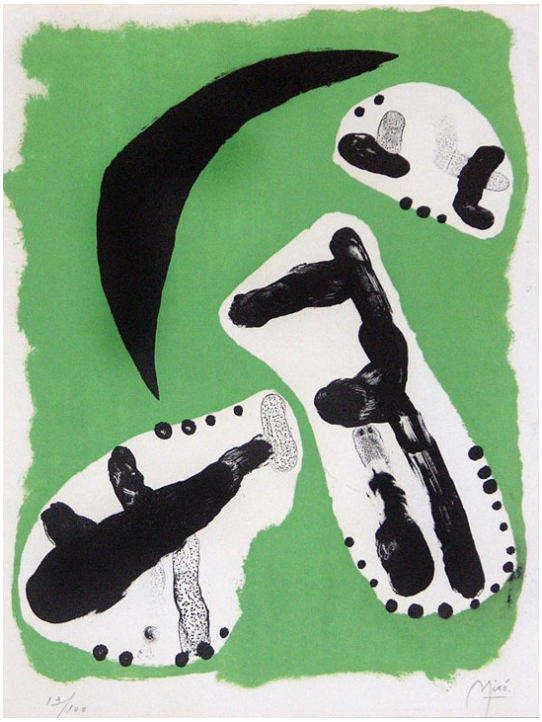

أنجز ميرو هذا العمل ضمن سلسلة من الأعمال (الليثوغرافية) في العام 1960، ضمن مجموعة شكل بها كتالوجاً لأعماله الحديثة، التي طُبِعَتْ على الورق الجلدي (الرق الجلدي - Vellum Paper)، ووقعها ميرو بقلم الرصاص على الزاوية اليمنى السفلى من العمل.

من خلال التمعن في هذا العمل المتميز ذي اللون الساطع، يلاحظ المتلقي أن العمل نُفذ بشكل جريءٍ وواضح، فاتزان الكتل المصمتة، وتعرج بعض التفاصيل الصغيرة فيه، خلق حركة ونشاطاً ضمن مساحة العمل، فاللون الأخضر النعناعي المصاحب لعملية التحبير الرقيقة باللون الأسود استطاعت بمجملها أن تخلق ترجمة وتمثيلاً شكلياً وموضوعياً لعلوم الفضاء والكواكب والمجرات كما يظهر من الأشكال التجريدية داخل المساحات البيضاء المصمتة، وهذا يعني إعطاء انطباع عن هذا العمل النادر كواحدٍ من الأعمال التي أنجزت في خمسينيات القرن العشرين وستينياته.

وبالنظر إلى كتلة الهلال الكبيرة السوداء اللون التي تتوضع في الركن اليساري العلوي، نراها تستمر بقيادة وإرشاد عين المتلقي إلى باقي مكونات العمل ضمن منظومة من الخطوط والأشكال المنحنية، ومجموعة من النقاط السوداء متنوعة الحجوم التي تزين المساحات والأشكال الكونية وتجعلها مكان جذب وتوكيد للتناسب مع موضوع العمل وعنوانه وهو (علم التنجيم)، وتظهر هذه الأشكال غير المتصلة بعضها بعضاً، وكأنها أجرام في فضاء رهيب تمثله المساحة الخضراء في الخلفية. وهذا العمل هو من ثمَّ مثال بصري فاتن أخاذ، كما أنه يعدُّ بموضوعه وتكوينه عملاً وأنموذجاً فريداً من أعمال ميرو التي استخدم فيها وبشكل تجريدي أسلوبه المميز في التجريد التعبيري.

يرى الباحث أن القارئ لتاريخ ميرو في سني عمره وبسبب ميوله لقراءة أشعارالسيرياليين والطليعيين، يلاحظ أنه انخرط في تصميم وطباعة

العديد من الرسومات التوضيحية للأعمال الشعرية لعدد من شعراء المرحلة. كما يلاحظ من خلال أعماله تأثره ببعض فناني الحركة الوحشية وخاصة (هنري ماتيس)، وهذا يتضح من أعماله التي استخدم فيها الألوان المنفصلة غير الممزوجة، كما استخدم ألواناً تكاد لا ترى في المكونات الطبيعية التي نراها، ومن خلال قراءة الأعمال السالفة والعديد من أعمال ميرو، يلاحظ المتلقي أنه استخدم العديد من الرموز والإشارات الرمزية للدلالة على الأشكال البشرية والحيوانية في حالات الحركة والانفعال والتوتر.

وفي أعماله الطباعية خلال مسيرة حياته، اشتغل ميرو وفق العديد من طرائق الطباعة وتقنياتها التي اشتملت الحفر بصبغة الماء (والليثوغراف) والماء القوي وتقنية الستانسل بالتفريغ. وبحسب قول ميرو: (فإن عمله بالحفر أعطى زخماً وغنىً كبيرين لأعماله التصويرية، بل أعطته أفكاراً إبداعية جديدة في عمله). وقد بدأ في العام 1967 استخدام كربيد السيلكون وتوظيفه في تقنية الكربوراندوم بضمها للتقانات المتعددة الأخرى، كما توصل ميرو إلى صناعة أعمال طباعية تنافس وتضاهي الأعمال التصويرية ذات الجودة العالية الأصيلة. وقد أسهمت التقنيات التي استخدمها في إنتاجه الدقيق في ظهور الزخم الجرافيكي المتمثل بالألوان الصريحة والخطوط الجلية الواضحة المعالم، وقد ركز في الفترة الأخيرة من حياته الفنية على استخدام الحفر بالماء القوي وصبغة الماء وتقنية (الليثوغرافي) اللتين استخدمهما في معظم أعماله التي عرضها، وفي أعمال الرسوم التوضيحية للكتب، حتى نالت أعماله في سبعينيات القرن الماضي إعجاب الملايين ولاسيَّما تلك التي عرضت في مدينة نيويورك، كما نال الجائزة الذهبية في الفنون الجميلة التي منحه إياها ملك إسبانيا في العام 1980.

كما يرى الباحث (كما يتضح من أعمال ميرو الإبداعية)، أنه رسم في ذاكرته صوراً خيالية بعيدة عن الواقع لخلق أعمال فنية تكون بمنزلة مماثلات ونظائر بصرية من عالم السريالية، قام بتوظيفها في العديد من الأعمال الطباعية ورسومات الكتب الشعرية، التي قدم منها العديد بشكل غامض يشبه الحلم، وتتصف بغرابتها ونزواتها وهزليتها وفكاهتها، حيث احتوت رسوماته أشكالاً بشرية وحيوانية، وأشكالاً عضوية ملتوية وأشكالاً وتكوينات هندسية غير مألوفة، وتميزت إبداعات ميرو بوجود عناصر لا شكل لها ولا انتظام، تتبادل الأدوار في العمل الفني مع خطوط ظهرت مرنة تارة وحادة تارة أخرى، فضلاً عن بقع ولطخات لونية ودوائر وتداخلات شكلية تصنع تداخلاتها أشكالاً غير متوقعة، وبالنظر إلى هذا الكم من الأساليب الغريبة من عمل الأشكال، يرى المتلقي أن ميرو قدم ذلك بكل عنفوان وجرأة وقوة، الأمر الذي أوصله إلى قمة الإبداع في تجريد الأشكال الطبيعية إلى بقع وخطوط ومساحات مجردة وألوان صارخة ، ولم تكن هذه النزوات إلا مثالاً يسيراً على قدرة ميرو العالية وخياله الواسع في تحوير الطبيعة بمكوناتها إلى رموز ودلالات فريدة الطابع، أوصلت الفنان إلى غايته في تحقيق كم هائل من الطاقات الإبداعية البصرية والمضمونية في كل ما قدم من أعمال طباعية، وإن تعددت وسائطها وأساليبها وأشكالها.

يرى الباحث أن (خوان ميرو) قد أظهر في معظم أعماله (أو في مجملها) طابعاً مميزاً لمفهومه الخاص بالتجريد وما تعنيه تكويناته الفريدة من مناخ سريالي ليس بعيداً عن مجتمعاته التي عاش بها، وموضوعاتها

المختلفة، فقد عمد الفنان إلى إبراز الجوانب الاجتماعية لموضوع التكوين بعيداً عن إضافات التفصيل الانطباعي الدقيق، حيث استخدام الأشكال الرمزية كالشخوص المجردة والحيوانات والطيور والنجوم والكواكب وغيرها، في طابع سريالي غريب ميزه عن باقي فناني السريالية أمثال دالي، فاستخدام ميرو في كل أعماله لمنظومة الخطوط المرنة والملتوية وتقاطعات خطية كونت في بعضها أشكالاً آدمية وكونية في معظم جزئيات العمل أكسب العمل بساطة وديناميكية وحيويّة لم تبعده (رغم بساطته) عن الحالة المضمونية والتعبيرية، وقد خلت معظم أعمال ميرو الطباعية من التجسيد الحقيقي والبعد الثالث وغياب الظلال بالخطوط المستقيمة والمتعرجة والمسطحات والمساحات اللونية ذات الألوان الأساسية المصمتة دون وجود التدريجات والتناغمات اللونية.

كما يرى الباحث أن أساليب ميرو في عمل التكوينات الجرافيكية تُظهِر توافقاً بين عناصر التأليف ووضوحها الشكلي بصورة مطلقة وإن تداخلت فيها المفاهيم السريالية، فألوانه الصريحة الواضحة تثير إحساساً بتحرر الأشكال ومرونتها ورقتها ومعانيها، وقد تماهت عبرها كل الاستخدامات التقنية لتفصح عن المعنى الجوهري للعمل الفني في سريالية رمزية إدراكية وحلمية معاً مؤكدة الحضور المؤثر للمجموعات اللونية التي يستخدمها .وبالنظر إلى غالبية أعماله نجد اختفاء القوالب التشكيلية التصويرية المألوفة وبروز الجانب الجرافيكي في العناصر كلها حيث الأشكال البسيطة بألوانها التي تبدو غاية في قلة عددها وتباينها. وإن تباين الألوان عنده هو الأساس في تلوين الخطوط والمساحات المختزلة، وهذه التباينات تتماهى ولا تكاد تُرى في التصوير الانطباعي والواقعي والكلاسيكي حيث كثرة التفاصيل الدقيقة التي تستوجب تداخلات لونية لضمان استمرارية مكونات الصورة، فالتباين الحاد هنا هو السبيل الذي اختاره ميرو لالتقاء العناصر الشكلية واللونية المشربة بروح أعمال فناني الحركة الوحشية، وكما يبدو فإن عملية التلوين في الحفر عند ميرو ليس هدفها متعة الجذب، بل هي تحقيق للشكل والمضمون والفكرة وطريق اختيار التقنية والأداة الملائمة للوصول إلى بعث الطاقات التعبيرية في العمل الإبداعي كعمل جرافيكي مطبوع.

كما يرى الباحث أن استخدام الوسائط المتعددة في العمل الواحد عند ميرو من شأنه تقديم القدرة العالية على تحقيق الطاقات التعبيرية التي يرمز إليها الفنان بما يتماشى وموضوعات العمل المطبوع. واختيار تقنية الماء القوي (والليثوغراف) متصاحباً مع تقنيات مساندة مثل صبغة الماء والتفريغ في الستانسل جاء لتحقيق العديد من الأفكار والطاقات التي ظهرت في أعمال ميرو، فلم يكن لتقنية المظلم المنير أو المنقاش المعدني أو غيرها من التقنيات المنفردة على سبيل المثال أن تحقق هذه السلاسة والنعومة ونقاء الأشكال التي شكلت حضوراً قوياً لمجموعة الألوان المستخدمة على سطح العمل . وهنا يمكن القول: إنَّ ميرو حقق وصولاً متناهياً للفكرة الإبداعية من خلال الدمج فيما بين تقنيات متنوعة وأشكال متعددة ومتنوعة لتحقيق هدف سام وهو موضوع العمل المختزل المميز الذي يحمل اسمه، وهذه التقنيات والأشكال المتعددة تماهت عناصرها بتداخلات جرافيكية غاية في البساطة من خلال التوظيف الأمثل للتقنية المتعددة الوسائط وتباين الألوان، ولم يغب عن بال ميرو خلق التوازن الهندسي الجرافيكي في كل أعماله حيث ظهرت وكأنها مبنية على أسس هندسية متزنة. كما أن ميرو استخدم أشكاله الجرافيكية التي تنبض بالحياة في معظم أعماله الجرافيكية المطبوعة، وذلك من خلال استعماله

للخطوط الدقيقة والرشيقة والألوان الحقيقية الساطعة المسطحة، وبتكويناته الفريدة والغريبة يجسد ميرو البيئة السريالية التي تشع من خلالها جاذبية الأشكال وخفتها ورشاقتها، فتكوينات أعماله المتزنة باتجاهاتها المتنوعة تشكل نماذج مفعمة بالحيوية، وهذه النماذج جعلت من التكوين الجرافيكي وكأنه إيحاءات تصويرية نفذت بحرية تامة فوق سطح الورق، وهذا ما جعل تقنية (الليثوغراف) التي وظفها ميرو أداة طائعة بيده لتحقيق جدّية وحيوية الخطوط والألوان فوق الخلفيات التي كانت تجمع بين الضبابية والمسطحة والمتدرجة وبين كونها أرضيات تحتضن الأشكال من فوقها وكأنها المرساة، ومن الناحية المضمونية لأعماله، يبدو أن ميرو قد ترك لخيال المتلقي فرصة التفكير والنظر لتحديد ماهية الأشكا الجرافيكية التي تشكل مساحة العمل المطبوع، وهذه الأشكال تبدو وكأنها تتراقص وتطفو بتجاذب إلى بعضها بعضاً بعلاقات جرافيكية تميزت بالتفرد والأصالة التي التصق شكلها ومضمونها باسم خوان ميرو.

وفي موضوع الأشكال الجرافيكية، يتضح من قراءة مجموع أعمال ميرو المطبوعة ظهور أشكال مبتكرة لعناصر من التراكيب الحيوية ذات الحركات الخطية اللينة، وعبر طباعة هذه المساحات والأشكال والخطوط التي توحي بعدم هيكليتها بوضعها على خلفيات متنوعة وبشكل مترامٍ على مساحة اللوحة، فإنها توصل المتلقي إلى الإحساس بإلغاء الزمان والمكان لتُبقي للمشاهد فيضاً من الحيرة والتساؤل، وهذا السحر بتفنن ميرو في رسم هذه الأشكال جعل من أسلوبه في عمل الرسوم التوضيحية للكتب غاية في الأهمية التاريخية في عالم الطباعة، وهنا لا بد من الاعتراف بأن تقنية (الليثوغراف) المستخدمة في أعماله، تعطي المساحة والحرية الكاملة للفنان لتقديم الطاقات الفنية المنشودة في العمل، وكما يبدو أن ميرو أتقن استخدام تقنية (الليثوغراف) كوسط تقني طباعي يفيض من أعماق تجربته التجريبية، وهذا يعني أن التقنية لم تحفزه بشكل تطفلي ولم تكن لغاية تجميلية، بل لتحرض القيم الرمزية والتشكيلية عن طريق المؤثرات البصرية، كما يتضح أن عناصر التكوين في هذا العمل لم تعتمد على قوانين أو معادلات مقننة، ولكنها تكوينات ذات مدلولات مميزة وفريدة بالنسبة إلى أحاسيسه ومشاعره، فتنظيم العناصر والألوان في أعماله تحملها قوة قادرة على جذب انتباه المتلقي من خلال أشكالها غير المتوقعة واللافتة كظهور الأحمر والأزرق والأخضر والضربات السواء الداكنة في غالبية أعماله، كما تظهر أعمال ميرو كماً من التناقضات النشطة في بنائيته، حيث تظهر الخطوط شديدة التداخل والحراك في التراكبات الصورية التي تربط بين عناصر التكوين بكل ما تُضمره من بلاغة لديه في تقديم العمل الإبداعي السهل الممتنع.

المراجع

1. Joan Mir Lithographs, Vol. II. Léon Amiel Publisher: NY, 1975.

2. Cramer, Patrick. Joan Mir , The Illustrated Books: Catalogue Raisonné, Patrick Cramer Publisher: Geneva, 1989.

3. Dupin, J. and Lelong-Mainaud, A. (2001). Mir Engraver, vol. IV 1976-1983. Galerie Lelong: Paris. Listed and illustrated as catalogue raisonné no. 940 on pg. 31

4. Cramer, P. (1989). Joan Mir , The Illustrated Books: Catalogue Raisonné. Patrick Cramer Publisher: Geneva. Listed and illustrated as catalogue raisonné no. 217 on pgs. 536

5. Dupin, Jacques. Mir Engraver, vol. III 1973 1975, Rizzoli International Publications: New York, 1992.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2010/5/12.